قصيدة لطيفة

لمؤلف هذه الرسالة في بيان مفاسد الزمان
وضرورة رجل يهدي إلى طرق الرحمن
ونعتِ سيد الأنبياء وفخر الإنس والجانّ ﷺ

دموعي تفيض بذكرِ فتـــن أنظُرُ ... وإني أرى فتنًا كقطرٍ يـــمطُرُ
تهبّ رياح عاصفات مـــبـــيدةٌ ... وقلَّ صلاحُ الناس والغيُّ يكثرُ
وقد زُلزلت أرضُ الهدى زلزالها ... وقد كُدّرتْ عين التقى وتُكدَّرُ
وما كان صَرْخٌ يَصْعَدَنّ إلى العُلى ... وما مِن دعاء يُسمَعنَّ و يُنصَرُ
فلما طغى الفسق المبيد بسيلـــه ... تمنّيتُ لو كان الوباءُ المُـــتَبِّرُ
فإن هلاك الناس عند أولي النهى ... أحبُّ وأولى من ضلال يُخسِّرُ
على أجدُرِ الإسلام نزلت حوادثٌ ... وذاك بسيئات تُـــذاع وتُـــنشرُ
وفي كل طرف نارُ فتن تأجّجت ... وفي كل ذنب قد تراءى التقعُّرُ
ومن كل جهة كلُّ ذئب ونمرة ... يعيـــث بوثب والعقارب تأبُرُ
وعينُ هدايات الكتاب تكدرتْ ... بها العِيْنُ والآرام يمشي ويـــعبُرُ
تراءت غواياتٌ كريح عاصفٍ ... وأرخى سدولَ الغيِّ ليلٌ مُكدِّرُ
وللدين أطلالٌ أراها كلاهف ... ودمعي بذكر قصوره يتـــحدّرُ
أرى العصر من نوم البطالة نائما ... وكل جَهول في الهوى يتبخترُ
وليلا كعين الظبي غابت نجومه ... وداءً لَشِدَّتُه عن الـــموت تُخبِرُ
نسوا نَهْجَ دين الله خبثًا وغفلة ... وأفعالهم بغـــيٌ وفسق ومَيسِرُ

وما همُّهم إلا لـــحظِّ نفوسهم وما جهدهم إلا لعيشٍ يوفَّرُ
وقد ضيّعـــوا بالجهل لبنًا سائغا ولم يبق في الأقـــداح إلا ماضِرُ
وركب المنايا قد دناهم بسيفهم وهم خيلُ شحٍّ ما دناهم تحسّرُ
تصيدُهم الدنيا بعـــظمة مكرها فيا عجبًا منها ومـــما تـــمكُرُ
تذكِّر إفلاسا وجوعا وفـــاقـــة فـــتدعو إلى الآثام مـــما تذكِّرُ
تريد لتُهلِك في التـــغافل أهلها وقد عقرتْ همَ اللئام وتعقِرُ
وألهتْ عن الدين القويم قلوبَهم فمالوا إلى لـــمعاها وتخيّـــروا
تقود إلى نار اللظى وجنـــاتُها ولـــمعاتُها تصبي القلوب وتختِرُ
وتدعو إليها كلَّ من كان هالكا فكلٌّ من الأحداث يدنو ويخطِرُ
تـــميس كبكرٍ في نقاب المكائدِ وتُبـــدي وميضًا كاذبا وتزوِّرُ
ودقّتْ مكائدها فلم يُدْرَ سرُّها لـــما نسجتْها من فنون تكوِّرُ
وتبدو كتُرْسٍ في زمان بكيدها وفي ساعة أخرى حُسامٌ مشهَّرُ
وعين لهـــا تصبي الورى فـــتّانة ولقتلِ أهل الفسق كَشْح مُخصَّرُ
عجبتُ لمنظرِ ذاتِ شيبٍ عجوزةٍ أنيقٍ لـــعين الناظرين وأزهَـــرُ
لزِمتُ اصطبارًا إذ رأيتُ جمالها فقلتُ إلهي أنت كهفي ومأْزَرُ
فصَيَّرَهـــا ربي لنفسي سَرِيَّـــةً كجـــاريةٍ تُلقَى بطَوْعٍ وتُهجَرُ
وذلك فضلٌ من كريم ومحسن ويعطي المهيمن من يشاء ويحجُرُ
وقد ضاقت الدنيا على عشّاقها ويبغونها عشقًا وحـــبًّا فتُدْبِرُ
تزاحمت الطلاب حول لحومها كمثل كلاب والـــمنايا تسخرُ
وإنّ هواها رأسُ كلّ خطـــيئةٍ فخَفْ حُبَّها يا أيها الـــمتبصّرُ

وقد مضغتْ أنيابُها كلَّ طالبٍ ... وأنت أَثارتُهم فسوف تُكسَّرُ
على كل قلب قد أحاط ظلامها ... سوى قلب مسعودٍ حماه الميسِّرُ
إذا ما رأيتُ المسلمين كـــلاَبَها ... ففاضتْ دموع العين والقلبُ يضجَرُ
على فسقِهم لما اطّلعتُ وكسلِهم ... بكيتُ ولم أصبِـــرْ ولا أتصـــبّرُ
أكبّوا على الدنيا ومالوا إلى الهوى ... وقد حلَّ بيتَ الدين ذئبٌ مدمِّرُ
أرى ظلماتٍ ليتَني مِـــتُّ قبلها ... وذقتُ كؤوس الموت لولا أُنوَّرُ
فساد كـــطوفان مبـــيد وإنني ... أراه كموج البحر أو هو أكثَرُ
أرى كلَّ مفتون على الموت مُشرِفًا ... وكل ضعيف لا محالة يعـــثُرُ
فأنقضَ ظهري ضعفُهم ووبالهم ... ومِن دون ربي مَن يداوي وينصرُ؟
فيا ربِّ أَصْلِحْ حالَ أُمّةَ سيدي ... وعندك هَيِّـــنٌ عندنا متـــعسِّرُ
وليس بِراقٍ قبل أن تأخُذَنْ يدًا ... وليس بساقٍ قبل كـــأسٍ تُقدِّرُ
وقد نُشِرتْ ذرّاتُنا من مصائبٍ ... ومِـــتْنا فلا تـــذكُرْ ذُنوبًا تنظُرُ
ولا تُخرِجَنْ سيفًا طويلا لقتلِنا ... وتُبْ وَاعْفُوَنْ يا ربِّ قوم صُغِّرُوا
وإنْ تُـــهلِكْنا يا ربَّنا بذنـــوبنا ... فنفنى بموت الخزي والخصمُ يَبطَرُ
ولا أبرَحُ المضمارَ حتى تعـــينني ... ولا بُدَّ لي أن أُهْلَكَنْ أو أُظفَّرُ
وإني أرى أن الـــذنوب كبيرة ... وأعرف معه أن فضلك أكـــبَرُ
إلهي أَغِثْنا واسْقِنا واحْمِ عِرْضَنا ... بسلطانك الأجلى وإنك أقدَرُ
بِئسنا من المخلوق وانقطع الرجا ... وجئناك يا مَن يعلَمَنْ ما يُضمَرُ
تعاليتَ يا مَن لا تُحاطُ كمالُهُ ... لك الحمد حمدًا ليس يُحصى ويُحصَرُ
تَصدَّقْ بألطاف كما أنت أهلُها ... وأَدْرِكْ عبادًا لك كما أنت أقدَرُ

فخُذْ بيدي يا ربِّ في كل موطنٍ وأَيِّدْ غريبًا يُلْعَنَنْ ويُكفَّرُ
أتيتُك مسكينًا وعونُك أعظَمُ وجئتُك عطشانًا وبحرُك أَزخَرُ
قد اندرستْ آثارُ دينِ محمدٍ فأشكو إليك وأنتَ تبني وتَعمُرُ
أرى كل يوم فتنةً قد مُدِّدتْ ومِتْنا وأمواتُ الأعادي بُعْثِروا
وقد أزمعوا أن يزعجوا سبلَ الهدى وكم من أراذلَ من شقاهم تنَصَّرُوا
أرى كل محجوب لدنياه باكيا فمن ذا الذي يبكي لدينٍ يُحقَّرُ
فيا ناصِرَ الإسلام يا ربَّ أحمدا أَغِثْني بتأييد فإني مُدْخَرُ
أيا ربّ مَن أعطيتَه كل درجةٍ وشأنًا برؤيته الورى تتحيرُ
وما زلتَ ذا لطف وعطف ورحمةٍ وما كنتُ محروما وكنتُ أُوقَّرُ
فلا تجعَلَنِّي مضغةً لمحاربي وأنتَ وحيدي كلّ خطأ تَغفِرُ
وأنت المهيمنُ مرجعُ الخَلق كلِّهم وأنتَ الحفيظ تعينني وتُعزِّرُ
وما غيرُ بابِ الرب إلا مذلّة وما غيرُ نورِ الرب إلا تكَدُّرُ
وعُلِّمتُ منك حقائق الدين والهدى وتهدي بفضلك من ترى وتُنوِّرُ
إذا ما بدا لي أن علميَ غامضٌ فأيقنتُ أني عن قريب سأُكفَرُ
فسلَّمتُ بعد الاهتداء بفضله سلامَ الوداع على الذي يستنكِرُ
وإن الهداية يرجِعَنْ نحو طالبٍ ومَن غضَّ عينيْ رؤيةٍ أين يُبصِرُ؟
ووالله لا يشقى الذي هو يطلب ومَن جدَّ في تحصيل هديٍ سيُنصَرُ
ومن كان أكبر همّه جلب لذّةٍ وحظٍّ من الدنيا فكيف يُطهَّرُ
أَمُكْفِرِ! مهلاً بعضَ هذا التحكم وخَفْ قَهْرَ ربٍّ قال ﴿لا تقفُ﴾ فاحذروا
وإن ضياء الدين قد حان وقته فتعرف شجرتنا بما هي تُثمرُ

ويا حسراتٍ موبقاتٍ على الذي يكذّبني مِن غير علم ويُكْفِرُ
وما جئتُ قومي من ديار بعيدة وقد عرفوني قبله ثم أنكروا
وأعرضَ عني كلُّ من كان صاحبي وأُفرِدتُ إفرادَ الذي هو يُقبَرُ
تمنَّيتُ أن يخفى تطاوُلُ قولهم وهل يختفي ما في المجالس يُذكَرُ؟
ويعوي عدوي مثل ذئب مِن طوًى وليس له علم بما هو أذكرُ
وما رُزِقتْ عيناه مِن نيِّر العُلى فأخلَدَ نحو الأرض جهلا ويُنكِرُ
أولئك قوم ضيّعوا أَمْرَ دينهم وخانوا العهود وزيّنوا ما زوَّروا
ويعلم ربي سرَّ قلبي وسرَّهم وكلّ خفيّ عنده متحضِّرُ
ولو كنتُ مردودَ المليك لضَرَّني عداوةُ قومٍ كذّبوني وكفّروا
وهمّوا بتكفيري وقاموا للعنتي ولم يعلموا أن المهيمن ينظُرُ
إذا قيل إنك مرسَلٌ خِلْتُ أنني دُعِيتُ إلى أمر على الخَلْق يَعسرُ
وكنتُ على نور فزاغوا من العَمى وهل يستوي الأعمى ورجلٌ يَبصُرُ
وما ديننا إلا هدايةُ أحمدا فياليتَ شعري ما يظن المكفِّرُ
وقد كنتُ أنسى كلَّ جَوْرٍ مُعيِّري ولكنه جور كبير مكوَّرُ
وكم من دلائلَ قد كتبتُ لطالبٍ يفكّر فيها لَوْذَعِيٌّ مُدبِّرُ
ألا أيها المتكبر المتشدّدُ تريد هواني والكريمُ يُعزِّرُ
وإذ قلتُ إني مسلم قلتَ كافر فأين التُّقى يا أيها المتهوِّرُ
وبعد بياني أين تذهب منكرًا أتعلم يا مسكين ما هو مُضْمَرُ
فلا تتجرعْ أيها الضال في الهوى بأيديك كأس الموت ما لك تُخطِرُ
وكلُّ سعيد يعرف الحقَّ قلبُهُ وأما الشقيّ فيعلَمَنْ حين يخسَرُ

وإني تركتُ النفس والخَلق والهوى ... فلا السبُّ يؤذيني ولا المدحُ يُبطِرُ
وكم من عدوٍّ بعدما أكملَ الأذى ... أتاني فلم أَصعَرْ وما كنتُ أصعَرُ
أحِـــنُّ إلى من لا يـــحِنُّ محبّةً ... وأدعـــو لمن يدعو عليّ ويهذَرُ
خُذِ الرفقَ إن الرفق رأس المحاسنِ ... ويكسِر ربي رأس من يتكـــبّرُ
عجبتُ لأعمى لا يداوي عيونَه ... ومِن كل ذي الأبصار يلوي ويسخَرُ
أتنسى نجاساتٍ رضيتَ بأكلِها ... وتذُمّ ما هو مستطـــاب وأطهَرُ
تُسَمِّينِ جهلاً يا ابنَ آوى ثعلبًا ... ومـــا أنا إلا الليث لـــو تتفكّرُ
تفيض عيون العـــارفين بقولنا ... ولكن غبيٌّ يضـــحكَنْ ويحقِّرُ
تُعـــيِّرني ظلمًا وكبرًا ونـــخوةً ... وهيهاتَ، أهلُ الحق كيف يُعيَّرُ
صبرنا على ظلم الخلائق كلها ... وتُبْـــنا إلى الرب الذي هو أقدَرُ
تركْنا القِلى والله كافٍ لصادقٍ ... وإن الصـــدوق بفضله يُتخَـــيَّرُ
وليس الفتى من يقتل الناسَ سيفُهُ ... ولكنـــه من يُظلَمَـــنّ ويصبرُ
أرى الظلمَ يبقى في الخراطيم وَسْمُه ... وأما علامات الأذى فتَـــغـــيَّرُ
أَتُكْفِرُني يا أيها المستعـــجـــلُ ... وأيّ عـــلاماتٍ ترى إذ تُكفِّرُ
وإن إمامـــي سيد الرسل أحمدُ ... رضيناه متـــبوعا وربّيَ ينـــظُرُ
ولا شك أن محمدا شمس الهدى ... إلـــيه رغِبْـــنا مؤمنين فنشكُرُ
له درجات فوق كـــل مدارجٍ ... له لـــمعـــاتٌ لا يليـــها تصوُّرُ
أَبَعْدَ نبيِّ الله شـــيءٌ يـــرُوقني ... أبعـــدَ رسول الله وجـــهٌ مُنوَّرُ
عليك سلامُ الله يا مَرْجَعَ الورى ... لكل ظـــلامٍ نورُ وجهـــك نيِّرُ
ويـــحمدك الله الوحيد وجندُه ... ويُثني عليك الصبحُ إذ هو يَجشُرُ

مدحتُ إمـــامَ الأنبيـــاء وإنـــه لأرفَعُ مِن مدحي وأعلى وأكبرُ
دَعُوا كلَّ فخر للنبي مـــحـــمد أمامَ جلالةِ شأنه الشمسُ أحقَرُ
وصلُّوا عليه وسلِّموا أيها الورى وذَرُوا له طُرقَ التشاجر تُؤْجَروا
ووالله إنـــي قد تبعتُ محمدًا وفي كـــل آن مِن سناه أُنوَّرُ
وفَوَّضَني ربي إلى روضِ فيضه وإني به أجـــنِي الجَنى وأُنَضَّرُ
ولِـــدِينه فـــي جَذْرِ قلبيَ لوعةٌ وإن بـــيانـــي عن جنانيَ يُخبِرُ
ورثتُ علوم المصطفى فأخذتُها وكيـــف أردّ عطاء ربي وأفجُرُ
وكيف وللإسلام قمتُ صبابةً وأبـــكي لـــه ليلا نهارا وأضجَرُ
وعندي دموع قد طلَعْنَ المآقِيا وعنـــدي صراخٌ مثلُ نارٍ مُسَعَّرُ
تضوّعَ إيماني كـــمسكٍ خالصٍ وقلبي من التوحيد بيتٌ مُعطَّرُ
وفي كل آن يأتينْ مِن خالـــقي غـــذائي نَميرُ الماء لا يتغيَّرُ
تضيء الظلامَ معارفي عند منطقي وقولي بفـــضل الله دُرٌّ مُـــنوَّرُ
إلى منطـــقي يرنو الفهيم تعشقًا ويُزعِج نطقي كلَّ وهمٍ ويَجذُرُ
سنا برقِ إلـــهامي ينيـــر لياليا وكشفي كصبح ليس فيه تكدُّرُ
وإن كلامي مثل سيف قاطـــع وإن بيـــاني في الصخور يؤثِّرُ
حفرتُ جبال النفس من قوة العلى فصار فـــؤادي مثل نهر يُفجَّرُ
وأَدْعِيَتي عند الوَغى تقتُل العدا فـــطوبى لقـــلبٍ يتّقيها ويحذَرُ
وآذاني قـــومـــي بسبٍّ ولعنةٍ وكم من لسان لا يضاهيه خنجرُ
إذا مـــا تحامتْني مشاهير ملتي فقلتُ اخْسَأوا إن الخفايا ستَظهَرُ
فريق من الإخوان لا ينكرونني وحزب يكذّب كل قولي ويزجُرُ

وقد زاحموا في كـــل أمر أردْتُه وكـــلٌّ يـــخوِّفني و ربي يُبشِّرُ
فأقسمتُ بالله الذي جلَّ شأنهُ على أنه يُخزي عدوي ويَشزِرُ
وما أنا عن عون المُعين بـــمُبْعَدٍ إذا اللـــيل واراني فنُورٌ يُـــنوِّرُ
وقد قادني ربي إلى الرشد والهدى ووفَّـــرني مَـــن عنـــده فأُوَقَّرُ
وإن كريمي يُطلِق الكفَّ بالندى ولي مِن عطاء الرب رزقٌ يُوفَّرُ
ولا زال مـــمدودا عليَّ ظلالُهُ ونعـــماؤه كثرتْ عليَّ وتكثُرُ
أكان لكم عجبًا ببعثِ مـــجدِّدٍ هلمَّ انْظُروا فتنَ الزمان وفَكِّروا
أمامك يا مغرورُ فـــتـــنٌ محيطة وأنت تسبّ المـــؤمنين وتَـــهجُرُ
فهذا على الإسلام يوم المصائبِ يُكفَّرُ مثلي والرياضُ حَبَوكَرُ
وللكفر آثار ولـــلـــدين مثلها فقُوموا لتفتيش العلامات وانظروا
أتحسب أن الله يُـــخلف وَعْدَهُ أتـــنسى المواعيد التي هي أظهَرُ
ويأتيك وعدُ الله من حيث لا ترى فـــتعـــرفه عيـــنٌ تَحِدُّ وتُبصِرُ
وقد علِم الأعـــداء أني مـــؤيَّدٌ ولكنهم من حقدهم قد أنكروا
ألا أيها الإخوان بَشُّوا وأَبشِروا هنيًّا لكم عيدٌ جـــديد أكـــبرُ
وليس لعَضْبِ الحق في الدهر كاسرٌ وما يضعون من الحديد فيُكسَرُ
وهـــل جائز سبُّ المؤيَّد بعدما أتتْ آيـــةُ المولى وظهَر المُضمَرُ
وفي يد ربـــي كلُّ عزّ وسؤدَدٍ وعـــزيزه مِن كيدكم لا يُحَقَّرُ
فمن ذا يعاديني وربي يـــحبّني ومـــن ذا يُراديـــني وربي مُعزِّرُ
لنا كـــل يوم نصرةٌ بعد نصرة ويأتي الحـــبـــيب مقامَنا ويبشِّرُ
وما أنا ممن يمنع السيفُ قصدَه فكيف يخوِّفـــني بشتمٍ مُكفِّرُ

يسبّ ويعلم أنه يترك التُّقى ... على مثله الوُعَّاظِ يبكي المنبرُ
وما إنْ رأينا وَعْظَه غيرَ فتنةٍ ... وما زالت الشحناء تنمو وتكثُرُ
وكفّرَني حتى ظننَّا أنه ... سيصلَى بحبّ الكُفر نارًا يُسعِّرُ
عجبتُ له لا يتركنَّ شروره ... وذَكَّرَه مِن كل نصحٍ مُذكِّرُ
ومِن عجبِ الأيامِ أنيَ كافر ... بأعينِ رجلٍ حاسدٍ بل أكفَرُ
وكيف أخاف الحاسدين وسبَّهم ... ويرحمني ربي ويؤوي وينصرُ
أُحِبُّ مصائبَ سبلِ ربي وإنها ... لأطيبُ لي مِن كل عيش وأطهَرُ
أيا أيها الألْوَى كسَبُعٍ تغيُّظًا ... فستعلَمنْ في أي شكل تُحشَرُ
فلا تقفُ ما لا تعلمَنْ أسراره ... وكم من علوم الحق تخفى وتستُرُ
وجهلُك أعجبَني وطولُ امتداده ... وإن الفتى بعد الجهالة يشعُرُ
أتُقبِرُ حيًّا مثلَ ميتٍ خيانةً ... ويعلم ربي كلَّ ما أنت تستُرُ
إلامَ فسادُ القلب يا تاركَ الهدى ... إلامَ إلى سبل الشقاوة تَسفُرُ
ووالله إني مؤمن غير كافر ... وأين التُّقى لو كان مثليَ يفجُرُ
فيا سالِكِي سبلِ الشياطين اتقوا ... قديرا عليما واحذَروا وتذكَّرُوا
وطوبى لإنسان تيقّظَ وانتهى ... وخاف يد المولى وسيفًا يُثَعْجِرُ
ووالله إني جئتً منه مجدِّدًا ... بوقتٍ أضلَّ الناسَ غُولٌ مُسخِّرُ
وعلّمني ربي علومَ كتابه ... وأُعطِيتُ مما كان يُخفى ويُستَرُ
وأسرار قرآنٍ مجيدٍ تبيّنتْ ... عليّ ويسّرَ لي عليمٌ مُيسِّرُ
كأن العذارى بالوجوه المنيرةِ ... خرجنَ من الكهف الذي هو مُقعَرُ
ألا إن الأيام رجعتْ إلى الهدى ... هنيًّا لكم بعثي فبَشُّوا وأَبْشِروا

وقد اصطـــفاني خالقي وأعزَّني وأيَّدني واختارني فتدبَّروا
ووالله ما أمري عليّ بـــغُـــمّةٍ وإني لأعـــرفُ نورَه لا أُنكِرُ
إذا قلَّ دينُ المرء قلَّ اتـــقـــاؤُه ويسعى إلى طرق الشقا ويزوِّرُ
ومَن ظنَّ ظنَّ السَّوء بُخلاً فقد هوى وكلّ حَسود عـــند ظنٍّ يُتبَّرُ
ولا يعلمَنْ أن المنايا قـــريـــبةٌ إذا ما يجيء الوقت فالموت يحضُرُ
وهل نافعٌ وِرْدُ التندُّمِ بـــعدما دنا وقـــتُ قارعةٍ وجاء المقَدَّرُ
ألا أيها الناس اذكروا وقت موتكم فـــلا تُلْهِكم غولٌ خبيث مخسِّرُ
وقد ذابت الصَفْواء مِن بيتِ عمرِكم ومـــا بقِي إلا جمرةٌ أو أصغَرُ
ومِسْحُ الحِمام سيحمِلَنْك على المطا وأنت بأمـــوال وخيل تفـــخَرُ
ألا ليس غير الله شـــيء مُدَوَّمٌ وكلُّ جليسٍ ما خلا اللهَ يهجُرُ
تَذَكَّرْ دمـــاءَ العارفين بسبلهِ ألم يأن أن تخشى، أأنت محرَّرُ؟
وإن الـــمنايا سابـــحاتٌ قويّةٌ أثرنَ غـــبارًا عند حُكمٍ يصدرُ
وآخر دعوانا أن الـــحمد للذي هدانا مناهجَ دينِ حزبٍ طُهِّروا

قد تمّ بمنّه وكرمه